جامعة الأمير عبد القادر للعلم الإسلامية

الندوة العلمية: طوفان الأقصى في الشعر الجزائري

18 فيفري 2024

المحور الأول: الشعر الفصيح مواكبته لأحداث طوفان الأقصى

عنوان المداخلة:

طوفان الأقصى من المقاومة إلى الانتماء إلى الحماسة

قصائد الشاعر عبد الله عيسى لحيلح نموذجا

د. لبنى خشة

محاضر أ

- جامعة الأمير عبد القادر للعلم الإسلامية

الملخص:

الشعر لسان حال الأمة يكتب آلامها وأحزانها والأحداث التي تمر بها، والحدث الأبرز الذي تفاعل معه الشعر هو طوفان الأقصى منذ السابع من أكتوبر حتى الآن، فكتب الشعراء أدبا استعجاليا يواكب الأحداث ويصور مجرياتها وتفاصيلها.

ومن الشعراء الذين تفاعلوا مع أحداث طوفان الأقصى تفاعلا حثيثا ولم يتوانَ عن مواكبة تطوراته الدكتور الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، الذي كتب أكثر من قصيدة وقدمها صوتا وصورة.

ووفق منهج سيميائي يكشف المخفي والمتوارى وعن ازدواجية اللفظ ودواله، ورمزية التوظيف، تطرح هذه الورقة العلمية جملة من الأسئلة لعلّ أهمها: كيف كانت تجليات طوفان الأقصى في الشعر الفصيح، ما دلالة العناوين التي وظفها الشاعر؟ ما هي المواضيع التي تفاعل معها الشاعر؟ وكيف وظف أحداث غزة وطوفان الأقصى في شعره؟

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصى، الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، المقاومة، الانتماء، الحماسة

Abstract :

Poetry The state of the nation writes its pain, sorrows and events. The most prominent event with which poetry interacted is the Al-Aqsa flood from October 7th to the present. Poets have written an urgent literature that keeps pace with events and depicts their chronicles and details.

One of the poets who interacted with the events of the Al-Aqsa deluge was a relentless interaction to keep abreast of his developments, Dr. Abdullah Issa Lahilah, who wrote more than one poem and presented it with a voice and a picture...

According to a semitic approach that reveals the duality of the word, its functions and the symbolism of employment, this scientific paper poses a number of questions, perhaps the most important of which: how were the manifestations of the Al-Aqsa deluge in eloquent poetry, what is the significance of the headlines employed by the poet? What topics did the poet interact with? How did he use the events of Gaza and the Al-Aqsa flood in his hair?

Key Word: Al-Aqsa Strom, Poet Abdullah Issa Lahilah, Resistance, Belonging, Honouring

المقدمة

زلزل طوفان الأقصى العالم حتى اهتزت له القلوب والحناجر والأقلام، كلٌ يصدح بما أتاه الله؛ دعاء أو هتافا أو تنديدا أو استنكارا أو ابداعا، ولم يتوان الشعر عن مواكبة أحداث الطوفان والتمثيل لها منذ الشرارة الأولى حتى الآن

والشعر الجزائري على غرار شعر باقي الأقطار العربية، انتفض انتفاضة حماسية تصب جام غضبها على العدو المستفز، فكتب الشعراء عن الطوفان كمصطلح ألهب مكامن الصدر غبطة وفخرا عند كل حامل قضية، وذات مصطلح أرجف خافق المتخاذلين، كما كتبوا عن غزة وهي تضخ لروح الأرض دماء أبنائها، كتبوا عن الجذور الممتدة إلى عمق التاريخ تَرفضُ أن تُقطع، كما كتبوا عن المساجد تُرتل وحيًا لا يسلّم مفاتيح العبور، كتبوا عن الحدود تأبى أن ترحل اسما

ورسما، وكتبوا عن الأماكن التي تضم أبنائها، وإن رحلوا فارتقاء إلى الجنان، كتبوا عن الشهادة والشهيد وعن العطر الضارع والمسك العابق من الأكفان، كتبوا عن الظلم عن القهر عن الصبر وعن انبلاج الفجر...شعراء كُثر انتفضوا بحروفهم وحاولوا أن يُسمعوا أصواتهم ...

ومن الشعراء الذين تفاعلوا مع أحداث طوفان الأقصى تفاعلا حثيثا لم يتوانوا عن مواكبة تطوراته الدكتور الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، الذي كتب أكثر من قصيدة وقدمها صوتا وصورة، نداء غزة (21-11-2023)، نداء فلسطين (23-11-2023) باقون هنا(24-11-2024)، هذا الكفاح (24-11-2023)، قاتلوهم(28-11-2023)، رسالة على اليهودي الأخير(28-11-2023)، مزمور الوعد الأخير(19-10-2023)

وستقف هذه الدراسة عند طوفان الأقصى في قصائد الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، وكيف واكب شعره هذه الأحداث بدءا بالمقاومة في قصيدة (بيان فلسطين) ثم الانتماء في قصيدة (باقون هنا) ثم شحذ همم المقاومين والمجاهدين المرابطين في قصيدة (قاتلوهم) وقصيدة (نداء غزة) التي جمعت أكثر من موضوع.

ووفق منهج سيميائي يكشف عن المخفي والمتوارى وعن ازدواجية اللفظ ودواله ورمزية التوظيف، تطرح هذه الورقة العلمية جملة من الأسئلة لعلّ أهمها: كيف كانت تجليات طوفان الأقصى في الشعر الفصيح، ما دلالة العناوين التي وظفها الشاعر؟ ما هي المواضيع التي تفاعل معها الشاعر؟ وكيف وظف أحداث غزة وطوفان الأقصى في شعره؟

1-المقاومة:

مذ استفحل الخبث الذي يُصطلح عليه "الكيان الصهيوني" في أرض كنعان، والشعب يحاول قطع دابره، ينتفض ويدافع، يستشهد ويواري شهدائه، ويعود ليقاوم من جديد، والمقاومة «تعبير عن إرادة الحياة والطموح في تحقيق حضور حر ومستقل، فهي ليست حالة وقتية، وإنما هي مبدأ حياتي أصيل في عقل ووجدان الإنسان (...) وهي بالتالي مبدأ قائم على تعشّق الحرية وإثبات الحضور والفاعلية وردّ العدوان»[1]

ولصور المقاومة في التاريخ العربي والثقافة العربية جذور عميقة، ولها أشكال تعبيرية كثيرة، تعبر كلها عن الاعتزاز بالأمة واستنهاض همتها وقوتها وتأكيد وجودها ومكانتها في الحياة، ذلك لأن «المقاومة منظومة متكاملة من وسائل الدفاع والاستعداد لمواجهة الأعداء، فهي تشمل

[1] فادية المليح حلواني: تجليات ثقافة المقومة في الشعر العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 8، سبتمبر 2005، ص 214

الثقافة والسياسة، والأدب (...)وفي كل هذا يأخذ المجتمع موضعه ضد الفساد والظلم والاستبداد، فالأدب المقاوم أدب ينتمي إلى هوية الشعب، ونوع من شعر المقاومة الذي يرفض الاستعمار والاضطهاد ويعكس الحرمان والتضحيّة »[1]

ويمتد وجع فلسطين إلى أزمانٍ ماضية، مع كل وجع يحمل الحرف أثقالا، يخلد تاريخا ويحاول أن يجبر أفئدة أنهكها الألم، وجاء طوفان الأقصى امتدادا لعمليات المقاومة، لكن بوتيرة مختلفة، وقد كتب الشاعر قصيدة عمودية (نداء غزة)[2] يوم (21-11-2023) يحث على المقاومة، فلا العدو يثنيهم ولا الموت يرهبهم، يقول الشاعر في الأبيات التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر (9-10-11-12):

قـــاوم لوجه الله، قـــاوم يا ابنها*فلأنت أولى من يقــوم مؤذنا**

للـــنصر والفتـــح الكبير*وأنت أولى من يبشـــر بالسَّنـــــا**

واجعل لسانك في الخطاب مُسدسا*فبه تكون إذا خطبت الألْسَن**

فجِّر عبيد العِجل إنهمُ خَوَا*واختر صيودك إذا شقيت الأسمـــن**

يوجّه الشاعر قصيدته لأبي عبيدة، بعد أن تحدث في مطلعها عن "عزة" وحال أهلها، وكل الخذلان الذي طالها، يوجه إليه فعل أمر، يخرج عن غرض الاستعلاء إلى غرض وجهة الطلب، ليكرر الفعل مرتين تأكيدا ودعما، وما حث الشاعر لأبي عبيدة ودفعه لمقاومة حثيثة إلاّ لأنه هو ابن الأرض، وهو أولى بأن يؤذن يوم نصرها، فلا يليق بابن الأرض أن يؤذن بالنصر وغيره من قاوم لتحريرها...سيشاركه شرفا لا يليق إلاّ به.

ويحث الشاعر في الطلب ويلح بتوظيفه لفعل الامر في استعمال الفعل (اجعل) ليثلج الصدر؛ صدر البيت وصدر القارئ بتشبيه بليغ حين عقد توليفة بين اللسان والمسدس وحذف كل من الأداة ووجه الشبه فالمزاوجة التركيبة بين الجملة الفعلية وبعدها الجملة الأسمية مزاوجة بين قطبين في حيز واحد لا تتأتى إلاّ لصاحب خبرة في تدبيج القول...

لينتقل إلى البيت الأخير في هذا المقطع ليرسخ فكرة المقاومة بما يلاحقها من مفردات تتشارك في حقلها، بفعلين دقيقين، فالتفجير يحتاج إلى قدرة على التصويب من مسدس أو غيره من سلاح يفي بغرض التفجير، والاختيار يحتاج إلى خبرة في الصيد والقنص، لذلك لم يكسر

---

[1] علي خضري: مظاهر أدب المقاومة في شعر الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 7، العدد 1، جويلية 2019، ص-ص 86-87

[2] عبد الله عيسى لحيلح: نداء غزة https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7/videos/1695629450848494

حدود الفكر في البيت السابق له، فاللسان الذي أردفه بالخطابة والخطاب، شبهه بالمسدس أتبعه بالتفجير والصيد.

ولا يبخل الشاعر على العدو بأقذر الصفات في كناية هي أقرب إلى الحقيقة حين نعتهم بأنهم (عبيد العجل)، مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ (87)فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (88)أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا (89)وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي (90)﴾[1]، ويصفهم أيضا بأنهم خواء، وأنهم صيد يترصده رصاص المقاومة، ويلفت نظرهم في عجز البيت، أن إذا اختار صيدا فليترصد الأسمن، والأسمن هنا ليس حجما بل مكانة كي يلحق بهم الرعب والمهانة.

يقول في البيت الأخير، البيت الواحد والثلاثين (31):

قاوم وما نبح الكلاب بضائر*شعبا يسير إلى الأمام مكفنا**

هز طوفان الأقصى قلوب العالم قاطبة بما عقبه من تدمير وتقتيل واستهداف للمواطنين وانتهاكات لكيان الصهاينة، وقد حاول الموالون له... احباط عزيمة المقاومة وتحميلها أوزار ما اقترف الكيان الغاصب، يحثّ الشاعر في هذا البيت أبا عبيدة وجنود المقاومة، أن يستمروا في المقاومة وألا ينصتوا للنباح...

ويوازن الشاعر بين صدر البيت وعجزه بالكناية، يستثمر الكناية في صدر البيت لحظ قوله **(نبح الكلاب)** وهي إحالة دالة على أقوال الموالين للكيان وتصريحاتهم، التي لا تعدو تشبه نباحا يسبب ضجيجا لكنه لا يضر، ووظف لصيغة المبالغة في لفظ (ضائر)، ويستثمر في عجز البيت كناية في قوله **(شعبا يسير إلى الأمام مكفنا)** دلالة على استعداده للشهادة ...

ويثير لفظ المقاومة الشاعر –كما كل القلوب والحناجر-فيكتب قصيدة **(البيان الفلسطيني)**[2]، يقول في مطلعها:

منذ آلاف السنين وأنا وحدي

أقاوم

[1] سورة طه: الآيات 87-90

[2] عيسى لحيلح: البيان الفلسطيني https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7/videos/145533175316221

أفلح الأرض واسقي عطش الأرض

وابني فوق بيتي اعشاش الحمائم

وأقاوم

ألدُ الرسل وسادات الوصايا والوصايا

والأساطير وأبطال الملاحم، والملاحم

وأقاوم

في هذه المقاطع الأولى ركز الشاعر على المرجعية التاريخية في قوله (**منذ آلاف السنين**) لإثبات تعددية متشعبة في جملة من الأفعال (**أقاوم، أفلح، أسقي، أبني، أقاوم، ألدُ، أقاوم**)، ليعكس أقدمية التاريخ، وأحقية المكان والأرض، وفاعلية التمجيد (**ألدُ الرسل وسادات الوصايا، والوصايا**)، فلا ينحصر دور فلسطين وهي تسرد بيانها على لسان الشاعر، في المقاومة بل وهي تقاوم تؤدي بالتوازي أدوارا أخرى في تفكير لولبي لا يختلف عن تفكير كل أنثى ...ويمنحها هذه الخصوصية الأنثوية الفعل (ألد) وإن كان التوظيف مجازيا فقد وفق في الاسقاط الدلالي للتعددية الفعلية في الآن نفسه...

ولا ينضب الفعل المضارع في التعبير المستمر على الأفعال الموازية للمقاومة يوظف من خلالها الشاعر كل البلاغة المتاحة التي يمكن أن تصور الوجع الرابض الذي يتربص الحروف والقلوب والأماكن، في قوله على لسان فلسطين:

أسرج الموج في كل اتجاه

حاملا ماء جبيني طارقا أبواب جياع الأرض

أعطي كل حُبي قبل حَبي لا أساوم

وأقاوم

وينساب الشاعر إلى الاستعارة فيجعل فلسطين تسرج الموج، وتحمل ماء جبينها، ومن البديع الجناس لفظٌ يغيّره الشاعر رفعًا وفتحًا في (حبي؛ حُبي -حَبي) ليجعلهما مناسبين لما قبلها [(حاملا ماء جبيني /أعطي حُبي) و(أطرق باب جياع الأرض/أعطي حَبي)] ومع هذا وذاك يختمها سكونًا في (لا أسام –وأقاوم)، فالتأكيد اللفظي في (وأقاوم) والذي عُطِفَ، قد عَطْفَ ألطافًا وصبرًا على كل ما عانته فلسطين ولا تزال ...

ويعود الشاعر في (بيان فلسطين) إلى المرجعية التاريخية التي لا يمكن أن ينسَّل عن دائرتها يقول الشاعر:

توأمي في البدء قد كان الزمن

كان من شمسي وظلي

بعدها كان الوطن

كان من لحمي وعظمي

بعدها أعطيت سيفا ومداد وجيادا وكفن

بعدها رحت أفصل الانسان عن جنس البهائم

<u>وأقاوم</u>

يجمع الشاعر فلسطين مع الزمن في رحم واحد فهما توأم من بدء التكوين، وفعل الكينونة يؤكد نقطة البدء والانفصال في ذات الوقت؛ (**كان من شمسي وظلي**) حتى أن الزمن أخذ من شمس فلسطين ومن ظلها، وهنا إحالة إلى امتدادها في التاريخ، أما الانفصال أو حالة التغيير والتولّد أمّنها ظرف الزمن (بعد) ليتولد الوطن الذي أخذ من لحم فلسطين وعظمها، والتركيز هنا على فلسطين الانثى الولاّدة، فهي وُلِدَتْ من رحم واحد مع الزمن، وَوَلَدَتْ الأبطال والملاحم والأساطير، وَوُلِدَ منها الوطن...

ويستأثر الظرف الزمني (بعد) بجملتين شعريتين سرد الشاعر من خلالهما المهام الموكلة لفلسطين في مسار المقاومة، يقول الشاعر:

بعدها أُعطِيتُ سيفا ومداد وجيادا وكفن

بعدها رحت أفصل الانسان عن جنس البهائم

فنسب فعل العطاء للمجهول (**أُعطِيتُ**) ليعدد أطراف العطاء تباعا؛ (سيفا ومدادا وجيادا وكفن)، أما **السيف** فقد شحذ **للقتال**، وأما **المداد** فقد سُخّر **لكتابة التاريخ**، وأما **الجيـــــاد** فقد أُعدت **للجهاد**، قال تعالى في محكم تنزيله:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]، أما الكفن فهو لباس العزة استعدادا للشهادة، نتيجة حتمية وفعلية لما قبله (السيف والجياد).

[1] سورة الأنفال الأية 60

ليعود الشاعر إلى اللازمة في الفعل (أقاوم) دلالة على أن المقاومة لازمت ورافقت المسار ولم تهدأ، والمقطع الموالي يعكس دلالة استمرارية المقاومة منذ عهود ممتدة يقول الشاعر:

عشت جارا لجميع الأنبياء

وأجيرا في قضاياهم جميعا

كلما نادى نبي أتقدم

أدفع الأرماح في صدر الأعادي

وأنادي:

أيها <u>الشعب تقدم</u>

<u>رايتي</u> أشلاء أبنائي وأهلي

<u>وحصوني</u> في الوغى... كل جدار قد تهدم

في هذا المقطع يعدد الشاعر على لسان فلسطين مسار الجهاد والمقاومة فهي التي لم تخذل نبيا، وكانت جارة لهم جميعا، والتركيب (**عشت جارا لجميع الأنبياء**) إبدال لفظي عن كناية أرض الأنبياء التي تُكنى بها فلسطين، كلما جاهد نبي تقدمت تضخ دماء أبنائها وتهدي ارواحهم فداء للقضية، رايتها؛ أشلاء الضحايا، وحصونها؛ حطام وبقايا...

وكأنما الشاعر يرتاح بعد كل تلك المعارك الطاحنة، بعد كل تلك الاشلاء المترامية... فيأخذ نفسا اعتراضيا يقول الشاعر

من زمان...

هكذا كان زماني وسيبقى

وسأبقى لست أندم

ملحمة الدم والضحايا التي لم تنته، واسطورة الفداء التي توقع في كل زمان وعصر أسماء يخلدها التاريخ، هكذا كان زمان فلسطين ...وهكذا سيبقى...ولن تندم الأرض التي تحتوي كل يوما عطرا ...وتضم كل يوم سطرا وتحتفي بالشهادة في أعز صورها...وتأنُّ جراحا في أحلك معاناتها...وبلغة محلقة بجناح العزة يتحدث الشاعر عن فلسطين يقول:

فاسألوا عني صقورا، واسألوا عني حمائم

واسألوا عني منايا حول رأسي دائرات

وحوائم

فهي تدري

أنني فينيق هذا الشرق

أتي من رمادي ولهيبي

فلا يعرف قهر القيد غير الطير خبر مدّ جناحه وفهم متعة الحرية، ولا يعرف قيمة الحياة إلاّ من خبر الموت وذاق مرارها تباعا، فاسألوا الطير واسألوا المنايا...فهي تعلم أن فلسطين **فينيق الشرق** الذي يولد من رماده ولهيبه، ففلسطين ليست فقط ولادة الاساطير والابطال، بل هي الأسطورة الخالدة، اسطورة الفينيق الطائر العجيب الذي كلما مات يولد من رماده ويبعث من جديد...

ويؤكد الشاعر فعل المقاومة على لسان فلسطين يقول:

أخضرَ القلب نديَّ الروح

محمود الغمائم

وأقاوم

وأقاوم

وأقاوم

وعلى الرغم من كل الضربات الموجعة، والنوائب المتوالية، والنار التي أحرقت جوانحه والتي يولد منها، يبقى فينيق الشرق (أخضر القلب، ندي الروح، محمود الغمائم) وتبقى فلسطين تقاوم.

ففي كل مقطع من مقاطع القصيدة كتب الشاعر رؤية مختلفة يؤمّن الاختلاف صيغ الفعل، فإن كان الفعل بصيغ الأمر في القصيدة السابقة (نداء غزة)، فإنه في هذه القصيدة (بيان فلسطين) بصيغ المضارع، الذي يحيل إلى الاستمرارية وقد جاء لازمة بعد كل مقطع لتأكيد الفعل والتذكير به، ويمكن تمثيل البنية التركيبة للأفعال المحركة للقصيدة وفق الشكل الموالي:

ويمثل المخطط أفعال المقاومة في القصيدة وتكرار فعل (أقاوم) والذي جسّد التوازي الفعلي بين المقاطع واللازمة التأكيدية، وقد حاولنا التمثيل له بالرأس السهمي المثلث للدلالة على السهم الذي تم توظيفه في المقاومة للتحديد أهداف القصف، أو تحديد المسافة الصفرية*، التي أحدثت ارباكا في صفوف العدو...

ويكرر الشاعر لفظ المقاومة سبع مرات بالتوازي مع افعالها الدالة في المسيرة التاريخية، ويضيف إليها ثلاثا في أخر القصيدة، ليكتمل العد تام العشرة، وللرقم عشرة دلالات متعددة وهو رمز للموقف الإيجابي والتفاؤل. وكأن الشاعر يتحدث على لسان فلسطين فبعد كل حدث

* **المسافة صفر" أو "السافة الصفرية"** مصطلح تم توظيفه من قبل (حماس) لمواجهة العدو، واستراتيجية "المسافة صفر" تعتبر المستوى الثالث من الحروب أو الاشتباكات داخل المدن، هذه الاستراتيجية يتم اللجوء إليها عندما يحدث تداخل بين طرفي الحرب، فيكونان داخل بناية واحدة أو مربع واحد أو يبعد أحدهما عن الآخر عدة أمتار. https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1667757

مقاومة، وبعد كل مقاومة نصر فهي تغييرات تحدث وستحدث لتصنع المصير وتغير المستقبل لذلك كرر الشاعر فعل (وأقاوم) على لسان فلسطين عشر مرات كاملة

وإن كان الشاعر قد كتب موضوع المقاومة تفاعلا فعالا تحسه أنه يساير تحركاتهم بطريقة بيانية عالية، ويكافح حاملا قلما، فكيف تراه تمثل الانتماء إلى الأرض والبقاء بها؟

2-الانتماء والبقاء:

يعد الوطن من المواضيع التي تناولها الشعر الاستعجالي الذي كتب طوفان الأقصى والأحداث المواكبة له، ومن الوطن وقضيته تمتد رمزية الانتماء والبقاء، وإن كانت فكرة الانتماء والبقاء فكرة غافية عند أهل الأرض يضمن غفوتها الاستقرار، فإنّ الحرب توقظ هذه الفكرة، ويزيدها اشتعالا وتحنانا الشعر وانسياب عباراته...

ومن أشكال الانتماء إلى أرض فلسطين ما يذكره الشاعر في البيت 4 من قصيدة (نداء غزة) يقول:

هي أرضكم هي عرضكم هي قبركم*بين القبور، وما لكم عنها غنى**

ويجسد الشاعر ثنائية الانتماء والبقاء في بيت واحد اختصر فيه حديثا طويلا وخطابا قد يحتاج إلى ساعات، وقد مثّل لفلسطين بضمير الغائب، وهي الغائبة الحاضرة في الوعي الجمعي وفي حنين الحروف وانتفاضتها، في حين يخاطب أبنائها خطاب حضور وجمع، يستحضر التمثيل الذي يجمع بين الحقيقة في قوله (هي أرضكم)، والتشبيه البليغ في قوله (هي عرضكم) و (هي قبركم)، بتكرار الضمير الغائب الحاضر في معاني الألفاظ، ليختم عجز البيت ختما قاطعا في قوله (**وما لكم عنها غنى**) فالأرض انتماء وبقاء، لا تفريط فيها ولا ابتعاد عنها، عرض شرف وكرامة وجب الدفاع عنه، أما القبر فهو ما سيضم عزة الجسد الذي قاوم وانتفض ودافع، ويمكن التمثيل لهذا البيت بالشكل الموالي:

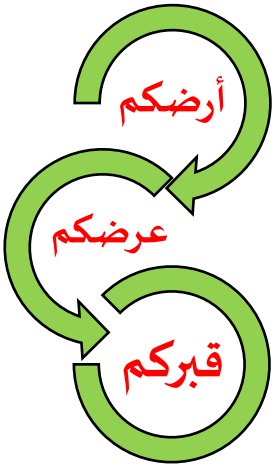

وقد اعتمدنا في التمثيل للبيت السابق بالسهم الدائري للإشارة على ما بعده في الألفاظ الموظفة: فمن الأرض إلى العرض، ومن العرض إلى القبر، في حين لفظ القبر لا سهم يعيده فهو دائرة تكاد تنغلق عند سهم لفظ العرض، ولا تنغلق لأن الشاعر يتم البيت بجملة تأكيدية في قوله (**وما لكم عنها غنى**) وهي الجملة التي تأكد ثنائية الإصرار على الانتماء والبقاء على حد سواء.

ويوظف الشاعر في قصيدة (نداء غزة) وصفا ينعت به أبا عبيدة؛ المتحدثِ الرسميِّ الإعلاميِّ لكتائب الشهيد عز الدين القسّام يقول:

قـــاوم لوجه الله، قـــاوم يا ابنها*فلأنت أولى من يقــوم مؤذنا**

للـــنصر والفتـــح الكبير*وأنت أولى من يبشـــر بالسَّنـــــا**

فجملة (يا ابنها) إحالة دالة على الانتماء إلى هذا الوطن وهذه الأرض، فابن فلسطين أولى بشرف الدفاع والنصر والفتح والشهادة، وأولى بأن يحمل وسام البنوة (ابنها) فقد اختارهم الله ليكونوا حصنها المنيع وراية ترفرف وتشرف الاسم...

ويثير الشاعر موضوع البقاء، بعد ان طلب الكيان المستفز اخلاء غزة، والانتقال على صحراء سيناء، فيتفاعل مع الحدث ويكتب قصيدة (**باقون هنا**)، ويتمثل الشاعر هذا البقاء في صور منفصلة لكنها متقاربة وممتدة، تتوغل أغلبها في المعجم الطبيعي ليمنحها خصوصية الانتماء؛ ماديا كان أو معنويا يقول الشاعر في المقطع الأول:

نحن باقون هنا * حجراً فوق الحجر**

وَهَوَاء في هواها * وظلالاً مِنْ شَجَرْ!**

ونسيما في سماها * ونجوما في السحر**

وحكايا من حكَايَا* هَا إِذَا لَذَّ السَّهر**

يكرر الشاعر جملة (**باقون هنا**) ثلاث مرات مرة في العنوان ومرتين في القصيدة لتأكيد البقاء والإصرار عليه، فعلاقة الامتداد بين الروح للأرض علاقة متشابكة، متعاكسة نُخلق من طين كما الأشجار ننمو وقد غاصت جذور الأصل وامتدت فروعه وارفة، لتنبعث الروح منها متى عدنا إليها ...

ويمكن تمثيل هذا المقطع بالشكل الدائري، فالدائرة مركز؛ مركز قوة، ومحيطها وما هو خارجها لا ينفك يكون هامشا هامشيا...

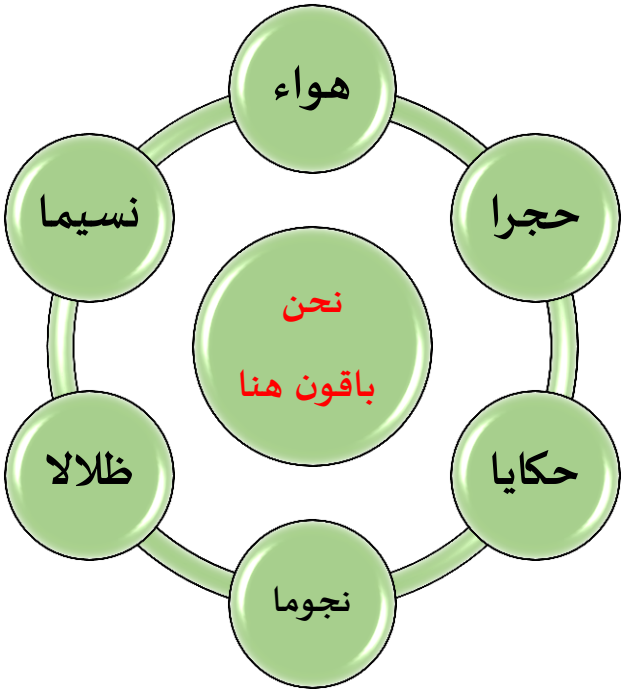

يمثل المقطع خصوصية البقاء بألفاظ دالة على الامتداد والتوغل والقدم، عمق الطبيعة الذي يحتوي البقاء ويحتويه، ويعيد دائرة الحياة التي لا تنضب، فنحن باقون هنا، ليس أحقية للأرض فقط بل نحن الأرض؛ نحن حجارتها وهواؤها ونسيمها وظلالها ونجومها وحكاياها التي رددتها صفحات التاريخ واحتفت بها.

ويستميت الشاعر في الدفاع عن فكرة البقاء ليعيد تأكيد الجملة (نحن باقون هنا) ليُسمع الآخر الذي اغتر بهالة القوة واستفحل في انتشاره ظاهرا وخفاءً، يقول:

نحنَ باقون هُنَا ***مِثْلَ وَحْيٍ فِي السُّور
ها هنا نَحْنُ القَضَاءُ * نحن صُنّاع القدر**
نحن، لا أنتم هنا ***ما مضى أو ما حضر
فالـ "هنا"" نحن، وأنتم*في جحيم وسقر**

ويمكن تمثيل المقطع بالشكل الموالي

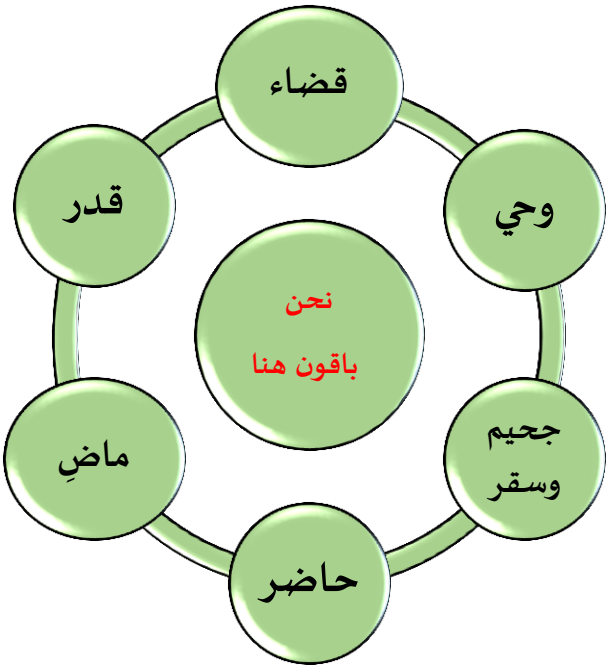

ويتمثل الشاعر هذا المقطع بين الظاهر والضمني، ضمن تقديم وتأخير متى استدعت الحاجة؛ حاجةُ اللغة، وحاجةُ الشعر، وحاجة النبض الذي يخفق بحماسة للدفاع عن الأرض وأحقية الانتماء، ففي أول بيت من هذا المقطع يقول:

نحنَ باقون هُنَا ***مِثْلَ وَحْيِ فِي السُّور

يوظف في هذا البيت تشبيها مفصلا، تفصيلا يليق بالانتماء، فسبّق وجه الشبه لأهميته وأكد عليه في جملة (نحن باقون هنا) تماما مثل الوحي الذي ترسخ في السور، منذ أن أنزله الله ليُحفظ في الصدور، ويُقيّد في السور والمصاحف.

ويستفيض الشاعر في تعداد مواقع البقاء والانتماء بالتركيز الاشاري والاستعمال المكثف لاسم الاشارة الذي يدل على المكان القريب (هنا) من دون أن يهمل التنبيه في (ها) في قوله:

ها هنا نَحْنُ القَضَاءُ * نحن صنّاعُ القدر**

نحن، لا أنتم هنا ***ما مضى أو ما حضر

فالـ "هنا"" نحن، وأنتم*في جحيم وسقر**

فقدم التنبيه والاشارة (ها هنا) ليركز على ما بعد الضمير (نحن) لإثبات الانتماء وترسيخ البقاء فنحن قضاء سيأتي بحتفكم، ونحن صنّاعُ القدر....

ويسترسل في البيت الذي بعده ليضيف دعما مزدوجا يوازن بين كفتي الثنائيات الضدية أو الطباق، وأصل البيت (نحن هنا فيما مضى أو ما حضر) لكن الشاعر يعقد توليفة ذكية، ومراوغة لفظية بالتقديم وتأخير، تقديم الضمائر الدالة على الأنا الجمعي (نحن) والأخر المستفز في (أنتم) ويقرنه بلام النفي (لا أنتم هنا) ليدل عليه بنفي انتماء وجوده في الماضي والحاضر، وما نفي انتماء الاخر للمكان الـ(هنا) إلاّ اثباتا للانتماء المكاني لـ (نحن)، ولا ينفك الشاعر يركز على التوظيف الاشاري للمكان في البيت الثالث من المقطع يقول:

فالـ "هنا"" نحن، وأنتم*في جحيم وسقر**

ولتكرار العدد سبعة دلالة خاصة، فقد ذكره الله تعالى في عدة مواضع من سور القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، فخلق الله عز وجل السموات سبعا، والأرضين سبعا، والأيام سبعا، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، والعدد سبعة الكمال الروحي، وهو كال البقاء في قصيدة الشاعر.

وإن كان الشاعر قد صوّر موضوع المقاومة والانتماء الى الأرض والبقاء، فإنه لم يتوان عن شحذ الهمم بنفس حماسي، فكيف شحذ الشاعر حماس المقاومين؟

3-الحماسة وشحذ الهمم:

الحماسة قول شعري مخصص لموضوع الحرب وما يلزمها من شجاعة في المواجهة وثقة بالنفس في مقارعة الخطوب، وبطولة في منازلة الخصوم واستبسال محاط بالشدة والقوة، ودوام الاستعداد للمعركة وسرعة الاستجابة للمنادى بالنفير وحب الحرب، ومعرفة خططها فهي كما يقول أحمد مطلوب: «أنها تلازم كثيرا من المواقف كالحرب والتحريض أو الدعوة إلى اقتتال وفيها يتناول الشعر الفخر والاعتزاز بالنفس أو القبيلة أو يستشير الهمم ويحمسها للحرب»[2]

وقد كانت خطب أبو عبيد*، خطبا حماسية كما كانت غاراتهم حماسية، تُسعد كل غيور على الإسلام وعلى الأرض، تفاعل الشاعر مع الخطابات كما تفاعل مع الهجمات والغارات، ووقف

[1] سورة البقرة الآية 261

* **أبُو عُبَيْدَةَ** هو المتحدثِ الرسميّ الإعلاميّ لكتائب الشهيد عز الدين القسّام، وهو الجناحِ العسكريّ لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)

يشحذ همة أبطال المقاومة على رأسهم أبو عبيدة، فكتب قصيدة (قاتلوهم)[1]، يوم (**28-10-2023**) يقول الشاعر:

قاتلوهم واقتلوهم* واملؤوا الدنيا رجالا**

هــكذا النصر وإلاّ ***إخــوة القسّام لالا

في لامية يمتد لامها مع امتداد الروح إلى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم يشحذ الشاعر همة جنود القسام مستعملا فعل الأمر الصريح في البيت الأول في (قاتلوهم) و(اقتلوهم) حتى تكاد تلمس حماسه والغبطة التي ملأ قلبه وحروفه، ليتبع حماسه في البيت الثاني بقوله:

هــكذا النصر وإلاّ ***إخــوة القسّام لالا

فالنصر النصر أن يملؤوا الدنيا رجالا تعيد العزة لفلسطين، فلم يبق متسع لا للتنديد ولا للتفاوض ...هذا وقت قتال وقتل.

يمتد وجع للأقصى، كما تمتد المسؤولية والحاجة إلى الحرية، وكسر أغلال الظلم ويكتب الشاعر كأنما يرصد خطة لإخوة القسّام أو يعيش تفاصيل الحرب يقول:

واملؤوا منها سماها ***رشقات تتــلالى

ورجوما للشياطين ***بأوجـــــاع حبالى

ادخلوا الباب عليهم ***واطلبوا الموت نزالا

واجعلوا الصبح بهيجا ***برصاص يتوالى

يكتب النصر بحرف* من لهيب لن يُطال**

كل ما كان محالا*لم يعد منكم محال**

إنه الطوفان عاتٍ ***عـــمّ سهلا وجبال

فانفروا فيه حفاة ***وخفـــــافا وثقالا

حاصروا الموت بموت* واجعلوا النار ظلالا**

حاصروهم واحصروهم* انزلوا فيهم وبالا**

أنـــــزلوهم من صياصيهم رجـــالا وعيالا

واصفعوا وجها قبيحا* وجبينا وقذالا**

[1] عبد الله عيسى لحيلح: قاتلوهم https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7/videos/3524937231154115

في اثنا عشرة بيتا لخص الشاعر توظيفا فعليا لخُطة حماسية يرصد من خلالها مسارا حماسيا يقول:

واملؤوا منها سماها ***رشقات تتــلالى

ورجوما للشياطين ***بأوجـــــاع حبالى

يطالب الشاعر اخوة القسّام أن يملؤوا السماء رشقات قنابل حتى يتلألأ لها الظلام، ويشبع رشقاته من وحي القرآن قال تعالى:﴿ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾[1]، فرجوم الشياطين كانت لشياطين الجن، وعند الشاعر هي أنسب لشياطين الانس، يُنزلها إخوة القسّام متتابعة حبلى بأوجاع تُصبّ على العدو...

ويستمر الشاعر في رصد خطته الحماسية شعرا يشحذ همم الأبطال دعما ومآزة للقضية يقول:

ادخلوا الباب عليهم ***واطلبوا الموت نزالا

واجعلوا الصبح بهيجا ***برصاص يتوالى

يُكتب النصر بحرف* من لهيب لن يُطال**

كل ما كان محالا*لم يعد منكم محال**

عهدي بالشاعر يضح قوة وحماسا، وينتفض مع المقاومين حماسا، فبتوظيفه لفعل الأمر وحثهم على الاقدام والمضي في سعيهم يرسم مسارا النصر بخطى واضحة، فـ (طلب الموت نزالا) طلب الابطال... وقفة الابطال الذين لا يهابون الموت، فالنصر لا يكتب إلاّ بحروف اللهب والحماس وشحذ الهمم، ويريح الشاعر في البيت الأخير من هذا المقطع وكأنه يأخذ نفسا عميقا ومتنفسا حين قال:

كل ما كان محالا*لم يعد منكم محال**

تتعطر أنفاسه غبطة وهو يستنشق عطر النصر وقد كسر الابطال معادلة ما كان يُشاع، فما كان سابقا يستحيل صار الان حقيقة تتمثل معالمها للعيان ...لم يعد مع اخوة القسام محال... ويسترسل الشاعر في قصيدته يقول:

إنه الطوفان عاتٍ ***عـــمّ سهلا وجبال

[1] سورة الملك: الآية 5

ويكمل نشوته تمجيدا للطوفان الذي أعاد الروح والحركة لما كنا نظنه قد خمد، لم يكن طوفانا عاديا، بل كان طوفان عاتيا اجتاح كل الأماكن وهز العالم قاطبة، ويسترجع الشاعر أنفاسه الحماسية، ويعود إلى فعل الأمر وإلى خطته الحماسية ويطالبهم بأن ينفروا حفاة، وخفاف، وثقالا فالحرب حالة استنفار، لا تهم حالة من يطلب الموت، بل الأهم أن يحاصر الموت وإن حاصرها بموت أكبر، موت تتناقض فيها كل الرموز التي لا يمكن أن تجتمع أو حتى أن تتناقض كقوله (**واجعلوا النار ظلالا**) فالنار لا تكون ظلا إلاّ إذا اجتاحت وعلت واستطالت كي تحرق عدوا مستفزا لا تناسبه سوى النار ظل ومستقر...ويكرر الشاعر فعل الحصار مرتين تأكيدا ليضيف الثالثة دعما، لكن بصيغة مختلفة عن سابقاتها يقول:

فانفروا فيه حفاة ***وخفـــــافا وثقالا

حاصروا الموت بموت* واجعلوا النار ظلالا**

حاصروهم واحصروهم* انزلوا فيهم وبالا**

أنـــــزلوهم من صياصيهم رجـــالا وعيالا

واصفعوا وجها قبيحا* وجبينا وقذالا**

فبعد طلب الموت نزالا، وحصار الموت بالموت، يطلب الشاعر من أخوة القسّام أن يُنزلوا العدو من صياصيهم أي من قصورهم المزعومة ومن علوهم الموهوم، وقد وصلوا إليهم وتمكنوا منهم، فيُطالبهم بصفعهم وصفع قبح وجوههم، ويمكن التمثيل لخطة النصر التي تصورها الشاعر بالشكل الموالي:

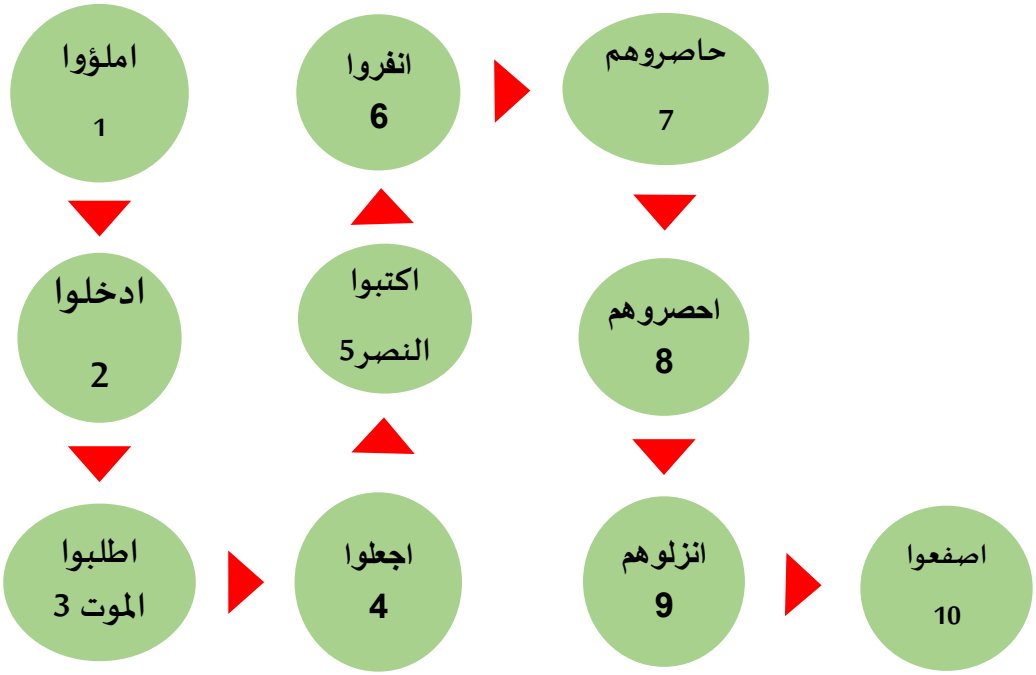

فالشاعر لم يكتف بمسار النصر والسير إليه، لكن الوجع الذي تراكم سنينا يحتاج إلى ثأر أكبر تمثله الشاعر بنية فعلية متوالية على وزن (افعلوا) بتكرار الصيغة تسع مرات (9) وبصيغة (فاعلوا) مرة واحدة، وكلها أفعال تحتاج حركية تحتاج إلى سرعة ونشاط وخفة، ليثلج الشاعر صدره وصدر القارئ في أخر المقطع بفعل (اصفعوا) الذي جاء ليربك الأفعال الأخرى ويختلف عنهم، بعد كل تلك الحركية [املؤوا، ادخلوا، اطلبوا، اجعلوا، اكتبوا، انفروا، حاصروا، انزلوا] والتي تنتمي كلها للمعجم الحربي، يأتي (اصفعوا) خروجا منفردا ليشفي غليل الوجع ويريح الشاعر...

لينتقل إلى المقطع الموالي والأبيات اللاحقة بفكرة مغايرة، يصف فيها الشاعر إخوة القسّام بأنهم **الطير الأبابيل** بتشبيه مفصلٌ تفصيلَ رؤية دينية بالتناص مع سورة الفيل، فهو يطلب من إخوة القسّام أن يقذفوا العدو ويصبون جام غضبهم وثورتهم صب سجالٍ متلاحقٍ

كما يصف الطوفان أنه **غزوة خيبر***، فليكن كل أبطال المقاومة بلال بن رباح، ليؤذنوا بالنصر ويصدحوا بأصواتهم، يقول الشاعر:

أنتم الطير الأبابيل ***فخوضوها سجالا

* غَزْوَةُ خَيْبَر هي معركة جرت بين المسلمين وبين اليهود، ذكر ابن اسحاق أنها كانت في محرم من السنة السابعة للهجرة.

خيبر هذي فكونوا ***في صياصيها بِلالا

أذّنوا بالنصر مرّوا* نحو وعد الله حالا**

واقرعوا الاجراس زهوا* وانفضوا عنها الملالا**

ويشد الشاعر على أيد إخوة القسام ويذكرهم بأهمية الأقصى دينيا يقول:

إنه الأقصى فشدوا ***نحو اقصنا الرحال

إنه الاسراء أسروا*نحو اقصانا عِجالا**

واسرجوا الرعب إليه*وسيوفا ونصالا**

ودعوا عنكم نياما*وهواما وكُسالا**

وشيوخا اشبعونا * ويحهم قـــالا وقال**

وكيف لا وهو مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، ما يليق به هو شد الرحال لنصرته والانتصار له، وفي استعارة ملفتة يطلب الشاعر من اخوة القسّام أن يسرجوا ظهور الرعب بدل الخيل، وان يسرجوا السيوف والنصال، فلا يليق بالأبطال غير البطولة، ولا يليق بالمقاوم والمجاهد غير النصر والشهادة.

وفي نهاية القصيدة وختامها يسوق الشاعر دعاء لأخوة القسام، يقول:

طاب ممشاكم وطبتم* زدتم المجد جلالا**

ولا أصدق من خالص دعاء لمن يناضل ويكافح ويجاهد، فقد تعطر الممشى وتعطر المكان بخالص ما يسعون له حتى ان الشاعر كلل جبين المجد بهم في استعارة جلية (**زدتم المجد جلالا**) فإن كان المجد بإجلاله وفخره واعتزاه فقد زاد اخوة القسام بهاء المجد ووقعوا بصمة على صفحة التاريخ.

ويواصل تأجيج تدجيج القصيدة بالأفعال التي تؤمن الحركة الفاعلة لإشعال فتيل الحماسة أكثر في قوله:

فاحضنوا الموت وسيروا*والبسوا الموت نعالا**

واشـــربوه ان عطشتم*صافيا عذبا زلالا**

هكذا النصر وإلاّ ***اخوة "القسّام" لا لا

ويصل الشاعر في آخر قصيدته الحماسية إلى بنية هرمية تصاعدية، يوظف ثلاث أفعال لاسم واحد (الموت) مكرر ثلاث مرات أيضا، مرتين بصيغته والثالثة بالضمير؛ أول فعل يؤسس الأرضية الهرمية في قوله (**فاحضنوا الموت وسيروا**)، ودلالة الاحتضان في الفعل(احضنوا) تحيل

إلى الألفة وعدم الخوف، الثاني في قوله (**والبسوا الموت نعالا**) ودلالة اللباس في الفعل(البسوا) تحيل على الاعتياد والتعود، والثالث في قوله (**واشـــــربوه**) ودلالة الشرب في الفعل(اشربوا) تحيل إلى الشهادة وارتقاء الروح إلى السماء فمن شرب الموت وتشربه، فاضت روحه إلى بارئها، ويردف صدر البيت بعزه قائلا (**صافيا عذبا زلالا**)، ولا يتأتى الشراب العذب الزلال في الموت إلاّ لشهيد صادق الوعد، لذلك ويصف الله أنهار الجنة وهي تجري بالأشربة العذبة التي تلذ لمن ختم له بطيب المقام في قوله : ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾[1]، وقال أيضا ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾[2]

ويمكن التمثيل للمقطع بالشكل الموالي:

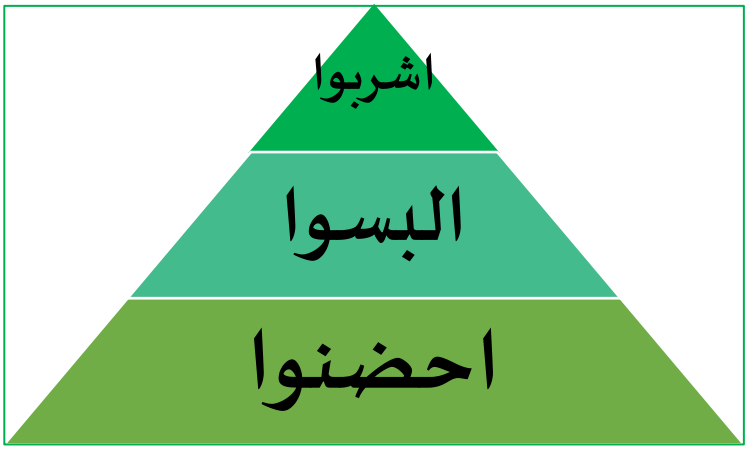

فلفظ (احضنوا) يأتي باتساع القاعدة احتواء راحة، ثم يضيق في لفظ (البسوا) فلباس الموت لا يستقيم إلاّ لمن اختاره الله، انتقاه لدرب صادق نقي، ويضيق الهرم في لفظ(اشربوا) اجتباء للأخيار، ليجازوا على ما شربوا وتشربوا به من شهادة.

[1] سورة محمد الآية 15

[2] سورة الانسان الآية 21

الخاتمة

حرك طوفان الأقصى أقلام الشعر الجزائري فتفاعل بحماس الثوّار، مع كل حدث من احداثه، ومع كل لحظة يتقصى اخباره ويكتب، وقد كان للشاعر عبد الله لحيلح قصائد كثيرة في كل موقف يوثق حادثة واصفا أو مادحا أو قادحا، وقد حددت الدراسة أربع قصائد هي: نداء غزة، البيان الفلسطيني، باقون هنا، وقاتلوهم تباينتا فيها المواضيع منها

-المقاومة فمجد الشاعر المقاومين وتفاعل من انتصاراتهم بنشوة بطولية في قصيدتي نداء غزة والبيان الفلسطيني

-الانتماء للأرض والبقاء والتشبث بها في قصيدة باقون هنا.

-الحماس وشحذ الهمم في قصيدة قاتلوهم

والحقيقة ان الدراسة كانت انتقائية للمقاطع التي تخدم الموضوع لكن هذه القصائد وغيرها تستحق كتابا كاملا اسأل الله ان يوفقنا لإنجازه

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

الصفحة الرسمية للدكتور عبد الله عيسى لحيلح

-عبد الله عيسى لحيلح: نداء غزة

https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7/videos/1695629450848494

- عيسى لحيلح: البيان الفلسطيني

https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7/videos/145533175316221

- عبد الله عيسى لحيلح: قاتلوهم

https://www.facebook.com/aissa.lahilah.7/videos/3524937231154115

المقالات:

-فادية المليح حلواني: تجليات ثقافة المقومة في الشعر العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 8، سبتمبر 2005.

-علي خضري: مظاهر أدب المقاومة في شعر الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 7، العدد 1، جويلية 2019.

المواقع الإلكترونية

-"المسافة صفر".. تكتيك حماس لمواجهة سياسة "الأرض المحروقة"

https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1667757